الأوضاع الاجتماعية للأقليات الدينية في سنجق القدس في القرن الثامن عشر حتى خضوعها لحكم والي مصر محمد علي باشا

أ.م.د. رشيد شيخو
كلية الآداب- جامعة ماردين أرتوقلو
تركيا

أ. علي شيخ عمر
معهد الدراسات العليا – جامعة ماردين أرتوقلو
تركيا

الكلمات المفتاحية: الأقليات الدينية، محمد علي باشا، الحملة الفرنسية، الأوضاع الاجتماعية.

الملخص:

تتناول الدراسة الأوضاع الاجتماعية للأقليات الدينية من اليهود والمسيحيين في سنجق القدس في فترة الحكم العثماني المباشر طيلة القرن الثامن عشر الميلادي بما فيها الحملة الفرنسية في نهايته وذلك قبيل سيطرة والي مصر محمد علي باشا عام 1831م على السنجق وبلاد الشام طوال عقد لاحق. وتهدف الدراسة لبيان طبيعة حياتهم الاجتماعية تحت حكم الولاة العثمانيين وعلاقتهم بشكل مفصل إن كان ذلك داخل كل ديانة وبين طوائفها وإن كان العلاقة بين الأقليتين اليهودية والمسيحية ثم العلاقات بينها وبين الأكثرية المسلمة، كما وسنتطرق إلى ما أحدثته الحملة الفرنسية على الشام بقيادة نابليون بونابرت عام 1799م من أثر على أوضاع هذه الأقليات وعلاقاتها الاجتماعية.

وقد اتبعنا المنهج التاريخي في استقراء الأحداث والمنهج الوصفي لتحليلها ومعالجتها والوصول لنتائج علمية بعيدة عن التحيز والمجاملة، وتم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة محاور: وهي أولاً العلاقة بين الأقليات الدينية في سنجق القدس وموقف الإدارة العثمانية منها ويشمل علاقات الطوائف ضمن الأقلية ثم علاقة الأقليات مع بعضها، وثانياً العلاقة بين المسلمين والأقليات الدينية في السنجق، وثالثاً أثر الحملة الفرنسية على أوضاعها الاجتماعية وعلى علاقاتها مع الأكثرية المسلمة. وقد توصلت الدراسة لنتائج مهمة ودقيقة أهمها:

أن المنازعات كان سمة العلاقات بين الأقليات الدينية وطوائفها في القدس في العهد العثماني، وكان موقف الدولة فكان مضطرباً نتيجة فساد موظفيها وولاتها وتدخل الدول الأجنبية.

وأن علاقات المسلمين مع الأقليات كانت متسامحة من ناحية حرية المعتقد والعبادة وحماية الأماكن المقدسة والعمل، لكنها بدأت تسوء منذ نهاية القرن الثامن عشر، وقد تعامل المسلمون بتسامح أكبر مع اليهود لأنهم بغالبهم هجروا معهم من أوروبا، بينما اعتبروا النصارى طوائف موالية للأعداء حيث تتدخل الدول الأوروبية لحمايتهم، مما عرضهم للتعديات من الجند وعامة المسلمين.

وقد زادت الحملة الفرنسية من سوء العلاقات بين المسلمين والأقليات الدينية واعتبروهم متعاونين مع الحملة لأن نابليون اعتمد عليهم، فتعرض اليهود للاضطهاد رغم ولائهم للدولة العثمانية، وكذلك تعرض نصارى القدس لتعديات المسلمين على الرهبان والكنائس خاصة الكاثوليك والفرانسيسكان، حيث يبدو أن بعض القساوسة كانوا يتراسلون مع الحملة.

التعريف بالبحث:

يتطرق البحث الى دراسة شبكة العلاقات الاجتماعية بين الطوائف الدينية المختلفة في سنجق القدس في العهد العثماني على طول القرن الثامن عشر حتى قدوم حملة نابليون بونابرت على مصر والشام وأثرها على هذه العلاقات، كما تتناول موقف الإدارة العثمانية من الأقليات الدينية، وأثر الحملة الفرنسية على أوضاع الأقليات وعلاقتها مع بعضها.

الأهمية: تكمن أهمية الدراسة كونها تسلط الضوء على العلاقات الاجتماعية بين مختلف مكونات المجتمع المقدسي وخاصة العلاقة بين الأقليات الدينية في مدينة القدس في العصر العثماني، فضلا عن كون الدراسة تفصل في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الطوائف المختلفة في ظل تناقض الروايات بين مصادر الأقليات الدينية ومؤرخيهم وبين المصادر الإسلامية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة لإعطاء فكرة واضحة عن الوضع الاجتماعي للأقليات الدينية في سنجق العهد في العهد العثماني والمظالم التي تعرضوا لها، إضافة للتمييز بين

العلاقات المختلفة ان كان داخل كل ديانة أو بين الديانات الثلاث. كما تهدف لإبراز أثر الحملة الصليبية على العاقات الاجتماعية بين مختلف الأقليات الدينية.

مشكلة الدراسة: تركز الدراسة على المشاكل التي عانت منها الأقليات الدينية في المنطقة في العهد العثماني والتي كان مصدرها الولاة والأعيان وقادة الجند والتي تجلت في الحياة اليومية والعمل واللباس ودورهم في المجتمع المحلي.

المنهجية: تم استخدام المنهجية التاريخية في تتبع الأحداث والمنهج الوصفي التحليلي في معالجتها وتفنيدها.

المقدمة:

كانت العلاقة بين الأقوام والطوائف والأقليات في الدولة العثمانية جيدة بشكل نسبي، خاصة وأن الأقليات تمتعت بحقوق وحريات أكثر من نظيراتها في ممالك أوروبا، إلا أن الوضع بدء ينحدر للأسوأ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وذلك ليس وليد أحقاد تاريخية قديمة وإنما نتيجة ظروف مرتبطة بتلك الفترة ولأسباب عدة أبرزها تدخلات القوى الكبرى في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، والسياسة الداخلية التي اتبعها العثمانيون[1].

أولاً. العلاقات بين الأقليات الدينية في سنجق القدس وموقف الإدارة العثمانية.

أ. العلاقة بين الطوائف اليهودية:

إن ما يؤكد وجود الانقسام والخلاف بين الطوائف اليهودية حتى في أمور العبادات والعقائد، ما تشير له السجلات من وجود معابد وكُنس تابعة للسكناج وأخرى تابعة لليهود وأنه لا يحق لأبناء أي طائفة التعبد بكُنس الطائفة الأخرى[2]، وكلها في حارة اليهود وحارة الحيادرة القريبة منها[3]، وأهمها الكنيس الكائن في حارة اليهود والمعروف بقدس الأقداس وبُني عام 1701م، وهو لليهود الأشكيناز وهو أكبر كنس اليهود بالقدس، وكنيس تحت الأرض مخصص لصلاة القرائين، وكنيس يوحنان زكاي والمغاربة وكوليل سفارديم وغيرها ويقال أنه في الحي اليهودي يوجد ثلاثة وعشرون كنيساً بين كبير وصغير حيث بعضه لا يعدوا كونه غرفاً للصلاة ولكن ليس بينها ماله قيمة تاريخية أو أثرية[4]. وينطبق هذا الأمر على المدافن ففي بداية القرن الثامن عشر كان لليهود ثلاثة مقابر مستأجرة في قطعة أرض واحدة في وقف الصلاحية، فكل طائفة من طوائف اليهود السكناج، والسفارديم، والقرائين تدفن بمقبرة خاصة بها حسب معتقداتها، ويكشف ذلك عن مدى اختلاف معتقداتهم الذي أدى لهذا الانفصال، وفي

القرن التاسع عشر أصبح لديهم مقبرتان واحدة في الطور شرق المدينة والثانية مقبرة سلوان جنوب شرق المدينة والتي كانت وقف الصلاحية سابقاً[5].

كما رسخَّ هذا الانقسام انشقاق الأشكيناز عن قيادة السفارديم، فأسسوا مجتمعاتهم تحت قيادة حاخاماتهم، وقد تمحور الخلاف الرئيسي بينهم حول حصص أبناء الطوائف اليهودية من المساعدات الخيرية التي تأتي من اليهود في الخارج[6].

أما بالنسبة للسامريين فقد اشتهروا بالانعزال عن باقي اليهود، فمنذ أن عاد اليهود من المنفى 538ق.م لم يعترفوا بهم، ولم يقبلوا التعامل معهم، وحدثت القطيعة بين الطرفين بسبب اختلاف عقائدهم واختلاف أماكنهم المقدسة، حيث يُقدس السامريون جبل جرزيم بنابلس، وقد تعرضوا لاضطهاد اليهود عبر التاريخ منذ أيام الرومان[7].

ب. العلاقات بين الطوائف المسيحية وموقف الإدارة العثمانية:

انقسمت الكنيسة المسيحية منذ البداية، وتكرر ذلك في عدة مناسبات أولها (مجمع إفسس) عام 431م الذي نتج عنه عدة كنائس، واشتعل الصراع بين الطوائف المختلفة واستمر مع خضوعهم للحكم الإسلامي.

وقد احتدم الصراع في زمن العثمانيين بين الأرمن واللاتين والروم الأرثوذكس في القدس حول الأماكن المقدسة والتقدم في المراسم والاحتفالات[8]، وتركزت المنازعات خاصة على كنيسة القيامة، وكنيسة المهد في بيت لحم. وأدت الرشاوى التي يدفعها زعماء الطوائف المسيحية للسلطات العثمانية من أجل الحصول على امتيازات لأنفسهم في الأماكن المقدسة لزيادة حدة الصراعات، وساهمت تدخلات قناصل الدول الأجنبية في عجز الدولة عن حسمها، فكان موقفها مضطرباً فتارة تتدخل لجانب طرف ثم تعود وتصدر فرمانات لمصلحة طرف آخر[9]. وكانت الحكومة تستفيد من الوشايات التي يقدمونها على بعضهم -كقيام طائفة بإصلاح كنيسة بالسر مثلاً- وتحقق الأرباح عن طريق الحبس والغرامات، لذلك لم تضع حداً لها، فكان التنازع بين الطوائف المسيحية سبباً للاضطهاد الذي تعرضوا له، والرحالة الفرنسي (فولني) الذي زار القدس أواخر القرن الثامن عشر أكد ذلك قائلاً: "إن متسلم القدس يلتزم بالضرائب وهو يحصلها من ضريبة الميري والجمارك ولكن بشكل خاص من مشاكل السكان المسيحيين بعضهم بين بعض"[10]. وأشار أيضاً الرحالة كنغلك الذي زار القدس أواسط القرن التاسع عشر إلى أنه من النشاز وجود المقدسات المسيحية تحت السلطة

الإسلامية لكن ذلك ضروري بسبب اختلاف الطوائف المسيحية، والمسلمون الحياديون يقومون بتقسيم الهبات والنزور المقدمة من الزوار بين الطوائف دون تمييز[11]. وإضافة لذلك فقد بدأ البطاركة وزعماء الطوائف المسيحية بالدخول في نظام الالتزام وجباية الضرائب، إلى جانب الولاة والباشوات المسلمين فسببوا الاضطهاد للفلاحين المسيحين من قبلهم، كما كان يصيب المسلمين[12].

وتم تشكيل محكمة للفصل في المنازعات بين طوائف النصارى مؤلفة من أمير السنجق، والقاضي الذي يترأسها والمفتي ونقيب الأشراف وإمام المسجد الأقصى وراهب كنيسة القيامة. ومع اشتداد هذه الصراعات اضطرت الدولة العثمانية أن تسلم حراسة هذه الكنيسة لعائلة آل غضية المقدسية المسلمة حيث تحفظ لديها مفاتيح الكنيسة، كما أن مهمة آل نسيبة فتح باب الكنيسة منذ بداية العهد العثماني[13].

وكان لكل طائفة مدارسها التعليمية الخاصة والتي ركزت على الجانب الديني وبث الكراهية والعداء لبقية الطوائف[14].

كذلك تنافست الطوائف الكبرى الأرمن والأرثوذكس منذ منتصف القرن السابع عشر إلى القرن الثامن عشر على رعاية الطوائف الأصغر كالأقباط والسريان والأحباش، فادعى الطرفان الحق في رعاية الطوائف الشرقية وحيازتها في القدس[15]. وقد وقفت الدولة العثمانية بجانب الأرثوذكس في صراعهم مع الكاثوليك باعتبارهم الملة المسيحية الرئيسية في الدولة[16]، وأنهم الوطنيون في مقابل الكاثوليك أتباع أوروبا أعداء الدولة[17].

وتبين الوثائق التاريخية حجم الخلافات بين الطوائف المسيحية خاصة بين الروم والإفرنج حول السيطرة على الأماكن المقدسة وسعي الإفرنج لتحويل الروم إلى الكاثوليكية[18].

وسنورد أبرز هذه الصراعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر:

اصطدم الروم والأرمن في عام 1731م بسبب فرمان سلطاني فقيل أنَّ الأرمن استبدلوا فيه كلمة الروم بالأرمن، وعام 1756م دخل اللاتين وهم مسلحون إلى الكنيسة في أحد الشعانين وهجموا على الروم أثناء صلاتهم وقاموا بالتكسير والتخريب داخل الكنيسة[19]. وعام 1803م حاول الأرمن السيطرة على الكنيسة الجشمانية إلا أن إرادة سلطانية منعتهم[20].

وفي عام 1808م قام الأرمن بحرق كنيسة القيامة التي تسيطر عليها ثلاثة طوائف رئيسية هي الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والأرمن مع وجود أقل لحقوق بقية الطوائف

فيها، فتسبب الحريق بتهدم الأعمدة وانهيار القبة[21]، وقد كان هدف الأرمن من ذلك هو إعادة إعمارها والسيطرة عليها ومن لأجل تفويت تلك الفرصة على الأرمن، تسابقت الطوائف على إعادة إعمارها مدعومة من القوى الأجنبية، إلا أن السلطان محمود الثاني منح الروم الأرثوذكس امتياز إعادة إعمارها وترميمها، مما أثار الأرمن وأدى لاضطرابات تم إخمادها باستخدام القوة لكن الأمور لم تنته، فقد اشتكى الأرمن واللاتين من قيام الروم بتغيير معالم الكنيسة والتعدي على مواقعهم فيها فأصدر السلطان محمود الثاني فرماناً بمنع التعدي عليهم[22].

وعام 1823م تجدد الخلاف بين الكاثوليك والأرثوذكس لأن الأخيرة رفعت صورة المسيح من مكانها داخل كنيسة القيامة واستبدلتها بصورة أخرى فصدر فرمان يمنعهم من ذلك ويأمرهم بعدم استفزاز الكاثوليك، وقد امتد الخلاف للقرى المجاورة فكان الأرمن يضايقون الكاثوليك أثناء صلاتهم في كنيسة المهد ببيت لحم. وحين تحول فلاحون بقرى ساحور وبيت جالا من الكاثوليكية للأرثوذكسية فاشتكى الكاثوليك لدى الدولة التي منعتهم من الصلاة في كنائس الأرثوذكس وهددتهم بمصادرة أموالهم وأراضيهم مما اضطرهم للعودة للكاثوليكية[23].

وقد كانت هذه الصراعات من أهم أسباب حرب القرم (1853-1856م) حيث تمت سرقة نجمة فضية وضعها اللاتين من كنيسة المهد في بيت لحم واتُهم الأرثوذكس بسرقتها ووقفت فرنسا لجانب اللاتين ووقفت روسيا لجانب الأرثوذكس ورفضت الدولة العثمانية أن تعترف بحماية روسيا لأرثوذكس المشرق وانضم لها فرنسا وانكلترا ضد روسيا، ومن المؤكد أن الدافع الأساسي لهذه الحرب كان الأطماع الاستعمارية لهذه الدول في الدولة العثمانية[24].

ج. العلاقات بين الأقلية اليهودية والأقلية المسيحية:

امتازت العلاقة بين الطائفتين في القرن السادس عشر نوعاً ما بالهدوء الحذر ونرى ذلك حين أخذ النصارى من اليهود عهداً بعدم دخول أماكنهم المقدسة ولا الوقوف على أبوابها، فعلى الرغم من قبول المسيحيين لدخول المسلمين بينهم وتسلمهم حماية كنيسة القيامة من أيام صلاح الدين لكنهم تصدوا لأي محاولة لليهود للتواجد بينهم، واليهود بالمقابل ابتعدوا عن تلك المنطقة خاصة المحيطة بكنيسة القيامة[25].

وكانوا بصفتهم أهل ذمة يتشاركون في تنفيذ القرارات التي تصدر بحقهم والتي تشمل المسموحات والمحظورات ودفع الضرائب والرسوم مع اختلاف نسبتها ومقدارها بين كل جهة ومدى التزام كل طرف بتنفيذها[26]، وبنفس الصفة كانوا يقدمون شكاويهم سوياً للسلاطين عن تعديات الموظفين الحكوميين بحقهم، كما حدث عام 1706م عندما قدموا الشكوى للسلطان أحمد الثالث حين طالبهم موظفو الإدارة المحلية دفع ما لا يطيقونه، وقد أمر السلطان العثماني بعدم مطالبتهم بأمور غير قانونية وعاقب من يقوم بذلك[27]. وقد عملوا بجانب بعضهم بمختلف المهن والحرف وتشاركوا في طوائفها مما يدل على التعايش بينهم[28].

لكن المسيحيين بدأوا باضطهاد اليهود في الدولة العثمانية حيث كانوا يشعرون بمرارة الحكم الإسلامي لهم، كما كرست السيطرة اليهودية على ميادين التجارة والمال والصناعة، شعور الذل لديهم، إضافة لمعاونة اليهود وخاصة الحرفيين منهم، للعثمانيين في حروبهم ضد أوروبا المسيحية، فاليهود يدركون أنهم سيتعرضون للاضطهاد مجدداً على يدهم إذا انتهت الدولة العثمانية. لذا سعى المسيحيون لدى السلاطين والوزراء من أجل إثارتهم عليهم، وتقديم حقوقهم على الحقوق والمزايا الممنوحة لليهود، وتقديم بطاركتهم عل الحاخامات في المراسم العثمانية الرسمية، وهو ما تحقق في نهاية القرن السابع عشر نتيجة الضغط الفرنسي الإنكليزي[29].

وقد كانت التعديات المسيحية على اليهود منذ القرن الساس عشر حتى القرن التاسع عشر قليلة ودائماً كانت الدولة تقف إلى لجانب اليهود، لكن ومع بداية القرن التاسع عشر وتزايد الشعور القومي لدى المسيحيين، تفاقمت الصراعات بين الطوائف المختلفة لدى الدولة العثمانية، خاصة وأن اليهود يؤيدون السلطة ويحظون براعيتها، فاضطهدهم المسيحيون واستطاعوا إخراجهم من المجالات التي كانوا يسيطرون عليها في المعاملات المالية والتجارة وغيرها.

كما أنه وعلى صعيد التدخل والحماية الأجنبية للأقليات فإن أوروبا لم تتدخل كثيراً كونها هي من طرد اليهود من أراضيها، إلا أن بريطانيا حين رأت أن التدخل لحماية اليهود من مصلحتها قامت بذلك من أجل بث الخلاف بين الدولة العثمانية واليهود[30].

والخلاصة:

يتبين لنا أن الخلاف والصراع كان سمة العلاقات بين الأقليات الدينية في القدس في العهد العثماني، فالانقسام بين طوائف اليهود وصل حتى لأماكن العبادة والمقابر وشكل توزيع المساعدات سبب الخلاف الرئيسي. بينما احتدمت الصراعات بين طوائف النصارى حول السيطرة على الأماكن المقدسة وأبرزها عام 1808م حين أحرق الأرمن كنيسة القيامة، وكان هذا التنازع سبباً للاضطهاد الذي تعرضوا له، أما موقف الدولة فكان مضطرباً نتيجة عوامل داخلية مثل الرشى التي استفاد منها الموظفون والولاة من طوائف النصارى المتنازعة، وخارجية تجلت في تدخل الدول الأجنبية لدعم أطراف النزاع. واعتبرت الدولة العثمانية الروم الأرثوذكس هم الوطنيين ووقفت بجانبهم بينما الكاثوليك هم أتباع أوروبا. وكان اليهود والمسيحيون متعايشين في البداية إلا أن المسيحيين بدأوا يضطهدونهم في القرن السابع عشر بسبب سيطرتهم على التجارة والمال وتأييدهم للدولة، وقد حظي المسيحيون بدعم أوروبا عكس اليهود الذين طردوا منها وينالون عطف العثمانيين حتى بدأت بريطانيا تتدخل لحمايتهم.

ثانياً. العلاقة بين المسلمين والأقليات الدينية في سنجق القدس.

أ. علاقة المسلمين باليهود:

ساد الهدوء العلاقة بين المسلمين واليهود في القرن السابع عشر، ولعب اليهود دوراً في الطوائف الحرفية فقد شاركوا في اثنتي عشرة طائفة وكانوا بالمرتبة الثالثة بعد النصارى والمسلمين[31].

عاش اليهود حياة الفقر والذل وعجزوا عن دفع ديونهم التي بلغت 1000 قرش عام 1662م فأمر القاضي بتأجيل الدفع سنة فوافق الدائنون على ذلك مقابل رهن كنيسهم الكبير في حارة اليهود للمسلمين[32]. كذلك كان اليهود الأشكيناز غير مندمجين بالمجتمع لعدم اتقانهم العربية وعدم إلمامهم بالنظام، واضطروا لاستدانة مبالغ ضخمة، وفي عام 1720م وبعد عجزهم عن سداد ديونهم صادرت السلطات أموالهم فغادرت مئتا عائلة منهم لدمشق والخليل وصفد، وانتظرت الطائفة قرناً لتعيد تأسيس نفسها في القدس، وبقي اليهود السفارديم في القدس والذين بدورهم عانوا ظروفاً صعبة حيث كانت أحياؤهم مهملة مليئة بالنفايات والأمراض ومعابدهم في حالة يرثى لها[33].

وقد اعتاد اليهود على دفع الأموال للمسلمين مقابل حمايتهم فدفعوا لسكان بيت لحم لقاء حمايتهم أثناء زيارة قبر راحيل، كما دفعوا الأموال أيضاً من أجل حماية قبورهم، كالتي دفعوها لأهالي قرية سلوان، وإضافة لذلك كانوا يدفعون الأموال لبعض العائلات في القدس بصفة سنوية مثل (الحسيني وأبو السعود والقطب) وتسمى عادة معتادة حيث تبلغ ستة قروش عن الفرد في السنة وذلك من اجل تأمين حمايتهم[34].

وكان تعامل المسلمين العرب مع الحجاج اليهود في القرنين السابع عشر والثامن عشر متسامحاً ومُرحباً وذلك نابع من تقديس المسلمين لأنبياء بني إسرائيل، كما شكل موسم الحج فرصة ليهود القدس لوفاء ديونهم عن طريق المساعدات، مما ينشط التجارة والازدهار لمجتمع القدس[35].

وبقيت العلاقات الجيدة نسبياً بين اليهود والمسلمين قائمة في القرن الثامن عشر واستمر الهدوء رغم حصول بعض التوترات، فالطوائف الدينية في القدس كانت مندمجة في حياتها اليومية في السكن، والعمل في الطوائف الحرفية، والتعاملات المالية بينها، وما يترتب عليها من منازعات لا تخرج عن المألوف في أي مجتمع، إلا أنه مع بداية القرن التاسع عشر بدأت تتوتر العلاقات بين مكونات مجتمع القدس[36]. ومع تحسن أوضاع اليهود، استغلوا أموالهم في اضطرابات عام 1823م ليقرضوا الناس بفوائد فاحشة كعادتهم، من أجل دفع الغرامة لمصطفى باشا والي الشام[37]، كما أقرضوا أهالي القدس مقابل رهن عقاراتهم حسب السجلات[38].

وزادت العلاقات سوءاً بين الطرفين مع مجيء الحكم المصري القنصليات الأجنبية وقوانين الحماية[39].

ب. علاقة المسلمين بالنصارى:

كان التسامح هو السائد منذ أواخر القرن الخامس عشر حتى أواخر القرن السابع عشر، ساهم في ذلك أن الدولة العثمانية كانت قوية ومسيطرة فبسطت الأمن والهدوء بين السكان وكانت تشرف على طوائف النصارى عن طريق رؤسائهم، وقامت بسن التشريعات التي تنظم العلاقات بين المسلمين والمسيحيين[40]، وفرضت عقوبة التعزير على من يدخل الأماكن المقدسة من أبناء الديانة الأخرى من الطرفين[41]. وقد سكنت عائلات مسلمة في محلة

المسيحيين في القدس فالدولة لم تكن تمنع أي ملة من الإقامة في أي مكان، ولكن الفصل بين الأحياء كان تلقائياً لأن كل ملة تريد مراعاة خصوصيتها[42].

وتشير وثائق الطوائف الحرفية في القرن السابع عشر لأن النصارى هم الفئة الثانية التي تشاركت مع المسلمين بعدد الطوائف والتي بلغت تسع عشرة طائفة، وشكلوا أغلبية في بعض الطوائف مثل الصياغ، وانفردوا بطوائف كانت كلها منهم كالشماعين.[43] ويشير الرحالة (دارفيو) لأن مسلمي القدس من عرب وأعراب وأتراك يشاركون النصارى بتقديس جبل الكرمل ويخفضون رؤوسهم عند المرور منه ويحيونه بقول "دستور يا ست مريم دستور يا خضر الياس"[44].

وقد استمر التسامح حتى نهايات القرن الثامن عشر، ومارس النصارى طقوسهم واحتفلوا بأعيادهم بكل حرية، وندر أن يتعرض مسلم لنصراني، بل كان توسط المسلمون لحل الخلافات بين النصارى، كما كان النصارى يعودون لمحكمة القدس الشرعية لحل النزاعات مع المسلمين والنزاعات الداخلية فيما بينهم[45].

يعطينا ميخائيل مشاقة نظرة سوداوية عن وضع المسيحيين نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر وعن سوء معاملتهم من قبل المسلمين وعن الإذلال الذي تعرضوا له حيث يُنعتون بالكفار وتُشتم صلبانهم وتُقلب عمائمهم، وعليهم أن يشملوا فيسيروا على يسار المسلم إذا صدفوه، أو يسيروا في (الطاروق) وهو درب منخفض وسط الطريق تسير به البهائم، ويُسخرهم أصحاب المحلات لقضاء حوائجهم، وأكثر هذه التعديات كانت من الأوباش والجند ورعاع المسلمين، وأشار لرفض جماعة من علماء المسلمين هذه التعديات إلا أنهم قلة فلم يستطيعوا وقفها[46]. ويؤيد ذلك ما ذكره الرحالة العياشي برحلته عام 1663م حين ارتحلوا من الرملة للقدس فطلعوا في شعاب وعرة ووضعوا على رؤوسهم جريد النخل اتقاء حر الشمس فلما رآهم أهل الجبل بدأوا بشتمهم وسبهم لأنهم ظنوهم نصارى[47]!، ويبدو أن المستوى التعليمي والاقتصادي والاجتماعي الذي وصل له المسيحيون هو السبب فمشاقة يشير إلى أن التعديات كانت من الجند وعامة الناس الذين لم يصلوا لمستوى المسيحيين[48].

وقد ساءت العلاقات بداية القرن التاسع عشر ومن ذلك فتنة عام 1821م بعد ثورة اليونان التي أيدها الروم في القدس، فهاجم المسلمون وعلى رأسهم المتسلم سليمان

أفندي والإنكشارية البطريركية الأرثوذكسية وانتشرت الفوضى واضْطُهد النصارى وأمر المتصرف بزيادة الضريبة المفروضة عليهم، وانتشر بين الناس أنه يحق شنق المسيحي الذي يحمل سلاحاً، لكن الوالي درويش باشا أصدر أوامره فوراً بعدم جواز ذلك، وتُليت أوامر السلطان والتي برأت النصارى من الخيانة ومنعت الاعتداء عليهم وهددت بمعاقبة المخالفين. وفي عام 1823م عاد المتسلم سليمان أفندي -يروى أنه يهودي اعتنق الإسلام- وانتقاماً لفشله في الفتنة بين النصارى والمسلمين قبل عامين فقرر رفع الضرائب على كل السكان مسيحيين ومسلمين، ومعاقبة المتخلفين بالسجن، وقد ورد أثناءها خبر من بيروت بوصول إحدى عشرة سفينة حربية يونانية لشواطئها وأُتهم النصارى بالتآمر معهم على الدولة واشتعلت الفتنة مجدداً، وحاول الأتراك حبس النصارى في كنيسة القيامة لكن جاء الخبر برحيلها دون أن تأتي بأي عمل عدواني[49].

إلا أننا نجد في عام 1824م التعاضد والتشارك بين المسلمين والمسيحيين، حين قامت الاضطرابات في القدس بسبب فرض والي الشام مصطفى باشا ضرائب فاحشة، وحين وصل جيشه القدس أعطى أوامره بتخريب البيوت ومصادرة الأموال لكن الأهالي هربوا منها وقد احتمى البعض منهم بالأديرة، فتعقبهم فيها وأذاق الرهبان العذاب، فلم ينج أحد منه من المسلمين ولا من النصارى ولم تتوقف المعاناة إلا بعد دفع الغرامة وقيمتها 100.000 قرش. وحين تجددت الثورة وجه المتسلم معظم قواته لبيت لحم لأن الاضطرابات فيها كانت كبيرة وقد اشترك فيها المسلمون والمسيحيون، وسيطر الثوار على قلعة القدس وانتدبوا اثنين من وجهاء المدينة ليديروا شؤونها وهما يوسف غرب الجبجاب وأحمد آغا الدزدار، فكان أول أعمالهما هي إعادة أواصر المودة بين المسلمين والمسيحيين وإلغاء الضرائب والأعشار المفروضة على بيت لحم والقرى المجاورة، فأرسل السلطان واليه عبد الله باشا وتجهز المسلمون لصده بعد أن أمنوا تعاون الطوائف الأخرى من المسيحيين واليهود وعهدوا إليهم بسد أبواب المدينة بالحجارة، وضُربت المدينة الآهلة بالسكان حتى تم التسليم مع اشتراط الأهالي منح عفو عام وإلغاء الضرائب الجديدة ومنع الجنود من التدخل بشؤون المدينة[50].

ثالثاً. أثر الحملة الفرنسية (1801/1798م) على أوضاع الأقليات الدينية في سنجق القدس.

أ. ملخص الحملة الفرنسية على الشام:

تعتبر الحملة الفرنسية على مصر والشام منعطفاً تاريخياً حاداً فيما يتعلق بالمسألة الشرقية، فمعها انتقل التنافس على تقسيم الدولة العثمانية من النطاق التآمري السياسي والدبلوماسي، والضغط الاقتصادي، إلى الفعل العملي والاحتلال المباشر[51].

بلغت أخبار وصول الحملة الفرنسية على مصر لأهالي القدس الذين انتابهم الخوف، حيث حذرتهم السلطات من أن هدف الحملة هو الاستيلاء على القدس والأماكن المقدسة فيها[52]. ونتيجة مكانتها الدينية وذكرى الحروب الصليبية انصب تركيز المسلمين على القدس من قبل حتى أن تصل الحملة الفرنسية للقاهرة، وأرسل والي الشام إلى المتسلم ووجهاء المدينة وأعيانها يحذرهم من الحملة وأهدافها بالسيطرة على القدس، ويطلب الاستعداد للتصدي لها[53]. وقد صدرت الأوامر من الدولة إلى سائر الحكام تحضهم على الدفاع عن الإسلام وعين أحمد باشا الجزار قائداً للعسكر[54].

غادر نابليون مصر في ربيع 1799م متوجهاً للاستيلاء على فلسطين وبلاد الشام وبعد دخول جيشه لغزة تمت إذاعة منشور على الأهالي في غزة، واللد، والرملة، يوضح لهم أنه أتى لمحاربة الجزار والمماليك وطردهم من فلسطين، ولأنهم حاولوا الهجوم على مصر، وأنه لا يقصد السلطان العثماني، كما أمَّن الأهالي على أنفسهم وأموالهم، وأظهر إجلاله للإسلام والمسلمين. والحقيقة أنه أراد احتلال الشام ليأمن على مصر مستغلاً ضعف الدولة العثمانية حتى لا تعود لها، ولإرغامها على فتح باب المفاوضات، كما أراد عقد تحالفات مع الطوائف المختلفة في بلاد الشام خاصة المسيحيين والدروز ضد العثمانيين[55].

قاد نابليون حملة من 13.000 رجل ودخل العريش في 16 شباط 1799م بعد حصارها ثمانية أيام، ثم اصطدم بالجزار قرب غزة في 25 شباط فهزمه وسيطر عليها، ثم توجه للرملة ويافا وسيطر عليها في 6 آذار بعد أن دكها بمدافعه، ثم سار لحيفا واحتلها، ولم يتوجه للقدس كونها غير مهمة من الناحية العسكرية، فقد كان هدفه عاصمة فلسطين حينها عكا، حتى أنه أرسل لحامية القدس من أجل التسليم فرفضت مجيبةً إياه أنها تابعة لعكا وتأخذ الأوامر منها فإن استولى على عكا سلمت له. ووصل نابليون لعكا وحاصرها في 19 آذار بعد أن تحصن الجيش العثماني فيها بقيادة أحمد باشا الجزار، واستمر حصاره أكثر من ستين يوماً لم يستطع أن يقتحمها، فانسحب نتيجة اضطراره العودة لبلاده، وبعد أن مات

الكثير من قواده على أسوارها، وقد انتشر الطاعون بين جنوده فمات منهم أكثر من 3500 جندي عدا من مات على الطريق، ورجع إلى مصر في شهر أيار عام 1799م[56].

ب. أثر الحملة الفرنسية على العلاقة بين المسلمين والأقليات الدينية:

بداية سنعرج على آثار الحملة على العلاقات بين الأقليات الدينية والمسلمين في مصر لنرى أوجه التشابه في النتائج على العلاقات بين فئات المجتمع المختلفة دينياً في الشام.

فحين اقتراب وصول الحملة الفرنسية لمصر تم البحث عن تجار الإفرنج وحُبس بعضهم في القلعة، والبعض الآخر عند الأمراء، وتم تفتيش محلاتهم والكنائس والأديرة بالإضافة لبيوت النصارى من الشام والروم والأقباط بحثاً عن الأسلحة، وقد كان هنالك هياج شعبي من عامة الناس على النصارى واليهود يريدون قتلهم لولا منع الحكام لهم[57].

وأدت الحملة لتفاقم العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة، خاصة النصارى بشكل أكبر، فرغم أن نابليون أبدى تعاطفه مع المسلمين ولكنه لم يستطع استمالة العلماء فكان الحل هو التحالف مع الأقليات الدينية وخاصة النصارى. وحين أعلن الفرنسيون المساواة بين المسلمين والذميين بالشهادة أمام القضاء الفرنسي أغضب ذلك المسلمين من النصارى واليهود والذين نشطوا في خدمة الفرنسيين وأبدوا تعاليهم على المسلمين كركوب الخيل حيث كان محظوراً عليهم[58]. وبرزت الكراهية بين المسلمين وأهل الذمة في ثورة القاهرة عام 1800م، فتم الإمساك بيهود ونصارى وفرنسيين وسُلموا للممثل العثماني في القاهرة وحصلوا على مكافآت (بقشيش) وقد قام بسجنهم وقتل بعضهم دون ذنب. وقام بعض العامة بقتلهم وجلب رؤوسهم من أجل البقشيش[59]. وعندما دخل العثمانيون القاهرة جرت هنالك اعتداءات طائفية على المسيحيين بتحريض من القادة والمماليك وذلك لموالاة بعض وجهاء القبط للفرنسيين، وقد شغل القبط بعض الوظائف لديهم[60].

1. أثر الحملة الفرنسية على اليهود في سنجق القدس:

أصدر نابليون في 20 نيسان 1799م بعد بدء حصاره لعكا نداءً داعياً فيه يهود آسيا وافريقيا للانضمام له من أجل إعادة إرث إسرائيل، وقد كرر ندائه مستخدماً عبارة "يا ورثة فلسطين الشرعيين"[61]، وما صرح به نابليون ليس صدفة لكنه جزء من تنامي الاستراتيجية الاستعمارية والتيار الصهيوني الذي نشأ منذ أوائل القرن السادس عشر متزامناً مع حركة الإصلاح البروتستانتي والنهضة الأوروبية، كما أثار التعليم والمعتمد على أدب التوراة اهتمام

الناس بتفسيره فأصبح الأوروبيون يعتقدون بأساطيره وأن فلسطين أرض يهودية[62]، فيكون بذلك نابليون هو أول من أعطى اليهود هذا الوعد، وسبق بلفور ب 118 عاماً، لكنه فشل في الاستيلاء على عكا، وكان اليهود كانوا أضعف من أن يستطيعوا تلبية ندائه ودعمه[63] خوفاً من إثارة حكام المنطقة والعرب المسلمين عليهم وحفاظاً على نفوذهم الاقتصادي كما أن تعاليم التلمود تمنعهم من العودة إلى فلسطين، وهو ما يفسر حماس الصهيونية المسيحية لعودتهم وعدم حماسهم لذلك[64]. ويعتبر هذا النداء هو بداية اعتراف أوروبا بحقوق اليهود في فلسطين وكان نابليون يسعى من وراء ذلك لضم اليهود في جيشه واستغلالهم في خططه الاستعمارية[65]، بالإضافة لكسب تأييد اليهودي (حاييم فارحي) وهو صاحب النفوذ المالي والتمويلي الكبير في عكا. وتشير المصادر إلى أن اليهود تريثوا في الاستجابة لنداءات نابليون، وبقي بعض الموظفين مثل (شالوم فارحي) موالياً للجزار، وقد كان آل (روتشيلد) اليهود من أكبر الداعمين والممولين للحملة الفرنسية، ويُذكر أن (آرون ليفي) حاخام القدس الأكبر وجَّه عام 1799م نداء لكل اليهود للقدوم لفلسطين، وحمل السلاح، وبناء الهيكل وأسوار المدينة[66].

ومع قدوم الحملة، تعرض اليهود للاضطهاد تحت تهمة مساعدة الفرنسيين، وأن 12.000 جندي يهودي ضمن قوات فرنسا الغازية، وذلك استناداً لوجود عدد من يهود المغرب في الجيش الفرنسي بمصر، ولم يشفع لهم ولاؤهم للدولة العثمانية، ولا مساعدتهم في تعزيز وإصلاح تحصينات المدينة. كما زاد في بؤسهم ارتفاع الأسعار نتيجة تواجد الجنود في المدينة فاضطروا لبيع أملاكهم والاستدانة[67].

2. أثر الحملة الفرنسية على النصارى في سنجق القدس:

منذ وصول الحملة الفرنسية لمصر انتشرت حالة من الذعر والاضطراب في القدس أثرت على وضع أديرة النصارى وكنائسهم، فقد تمت مهاجمتها، ومهاجمة رهبانهم، وخاصة الكاثوليك والفرانسيسكان، حيث أُخذوا كرهائن فاشتكوا إلى والي الشام الذي أرسل للعلماء والأعيان بمنع أي اعتداء على الأديرة، وعلى من فيها، وبأنهم في حماية السلطان إلا من ثبتت خيانته[68]، فقد وصلت أنباء للوالي أن شخصيات نصرانية وقساوسة في القدس يتراسلون مع الفرنسيين للتعاون معهم، فصدرت الأوامر لمتسلم القدس مصطفى آغا، والقاضي، والمفتي، بترجمة مضمون المراسلات، وإرسالها للأستانة من أجل اتخاذ القرار وملاحقة عملاء فرنسا في القدس[69].

وزاد القلق بين المسلمين في القدس بعد احتلال الفرنسيين للرملة ويافا وارتكاب المذبحة المروعة فيها[70]. وازدادت الدعوات للجهاد ضد الفرنسيين الغزاة. وكرد فعل سجن الأتراك جميع الروم الأرثوذكس، وتم اعتقال الرهبان ورجال الأديرة واحتجازهم في كنيسة القيامة، وبلغ عدد الرهبان الكاثوليك المحتجزين اثنين وخمسين راهباً من القدس وبيت لحم وعين كارم وغيرها، ثم توالت الفرمانات من الأستانة ودمشق بعدم التعرض لرجال الدين، وبقي الرهبان في كنيسة القيامة تحت الحماية اثنين وسبعين يوماً، وأطلق سراحهم بعد رحيل الحملة عن المنطقة[71].

ومن رام الله في فلسطين وجَّه نابليون خطاباً إلى السكان من المسلمين والمسيحيين واليهود، يدعوهم لقبول الحرية الفرنسية، والتخلص من الأسر العثماني، إلا أنهم لم يستجيبوا لتلك الوعود لأنهم يعلمون نوايا الغرب لكن ساد الخوف والغضب لدى المسلمين في القدس[72].

وعلى الصعيد الإداري أنشأ نابليون ديواناً محلياً فيه أعضاء مسلمون ونصارى، وبعد انتشار الوباء بين جنوده أقام مستشفى لهم في دير الروم الكاثوليك في يافا، وأمر بتجنيد المسيحيين اليونانيين إجبارياً لخدمة المصابين في المشفى، والمسيحيين اللاتين والأرمن لملاحظة حالات الطاعون[73].

خاتمة:

إن العلاقات بين الطوائف كانت جيدة في العهد العثماني واشترك المسلمون مع الأقليات من اليهود والنصارى بالعمل في الطوائف الحرفية حتى بدأت تسوء في نهاية القرن الثامن عشر، والقرن التاسع عشر. وقد تعامل المسلمون بتسامح مع حجاج اليهود بسبب تقديس أنبيائهم في الديانتين واعتاد اليهود دفع الأموال للمسلمين من أجل حمايتهم، كما اتسمت علاقات المسلمين والمسيحيين بالهدوء حتى ساءت في نهاية القرن الثامن عشر حيث تعرض النصارى كما يشير المؤرخون للتعديات، وأكثرها من الجند وعامة المسلمين.

وعند المقارنة نجد اليهود قد نالوا تعاطفاً أكبر من المسلمين لأنهم بغالبهم هجروا معهم من قبل مسيحي أوروبا، فالعقلية الإسلامية لم تنس الحروب الصليبية والأطماع المستمرة لأوروبا المسيحية بالقدس. فالمسلمون والسلطات المحلية اعتبروا النصارى طوائف موالية للأعداء ينظرون إليها بعين الريبة والشك، خاصة مع تنامي التدخلات الأجنبية بحجة

حمايتهم، وقد ازدادت العلاقات سوءاً مع مجيء الحكم المصري والقنصليات الأجنبية وقوانين الحماية. لذا لا يمكن اختصار العلاقة بين المسلمين والأقليات وتحديداً النصارى بمقولة (كان التسامح سائداً)، وإن كان، فهو من ناحية حرية المعتقد والعبادة وحماية الأماكن المقدسة والحج ومن ناحية العمل، وهو يعتبر تسامحاً قياساً بما فعلته أوروبا تجاه المسلمين واليهود وبممارساتهم بالعموم تجاه أبناء دينهم المخالفين بالمذهب.

كما أن الحملة الفرنسية على مصر والشام مفصل تاريخي في الصراع العثماني الأوروبي. وقد هدف نابليون من احتلاله للشام أن يأمن على مصر وليعقد تحالفات مع الأقليات الدينية في بلاد الشام. فاحتل غزة ويافا والرملة ولم يتوجه للقدس لضعف أهميتها العسكرية، وتوجه لعكا عاصمة فلسطين ففشل باقتحامها بعد حصارها شهرين نتيجة صمودها وانتشار الطاعون بين الجنود ففشلت الحملة على الشام. ومنذ وصول أنباء الحملة، انتشر الاضطراب في القدس لمكانتها الدينية وذكرى الحروب الصليبية وحذر والي الشام أهاليها أنها هدف للحملة وطالبهم بالاستعداد.

وقد فاقمت الحملة العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة فقد فشل نابليون باستمالة المسلمين واعتمد على الأقليات، فزاد غضب المسلمين عليهم، واعتبروهم متعاونين مع الحملة، وقاموا بالتعدي عليهم فتعرض اليهود للاضطهاد مع انتشار خبر أن نسبة كبيرة من جيش الحملة من يهود المغرب، رغم ولائهم للدولة العثمانية وعدم استجابتهم لنداء نابليون ليهود العالم للعودة لفلسطين، فقد خشي يهود القدس على مركزهم الاقتصادي ومن تأليب الحكام عليهم، وتعرض نصارى القدس لتعديات المسلمين على الرهبان والكنائس خاصة الكاثوليك والفرانسيسكان، وتوالت الفرمانات بمنع ذلك وبحمايتهم، إلا من ثبتت خيانته حيث يبدو أن بعض القساوسة في القدس كانوا يتراسلون مع الحملة.

الهوامش:

---

1 دونالد كواترات، الدولة العثمانية 1700-1922م، ترجمة: أيمن أرمنازي، الطبعة 1 (الرياض: مكتبة العبيكان، 2004)، 306.

2 حلمي خليفة علي داردكة، يهود القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الطبعة 1(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014)، 244-245.

3 س م ق ش 55، 5 ربيع الأول 981هـ/5 تموز 1573م، 493، نقلاً عن: إبراهيم ربايعة، "طائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني إلى ما قبل قيام الحركة الصهيونية (922هـ/1516م-1315هـ/1897م)"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م2، ع2، (2008): 104.

4 عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، الطبعة 5 (القدس: مطبعة المعارف، 1999)، 545.

5 ربايعة، "طائفة اليهود في القدس"، 112.

6 كامل العسلي، القدس في التاريخ، الطبعة 1 (عمان: 1992)، 256-257؛ أحمد حسين عبد الجبوري، القدس في العهد العثماني (1640-1799م)، دراسة سياسية عسكرية إدارية اقتصادية اجتماعية ثقافية، الطبعة 1 (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2011)، 2/ 258.

7 مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، الطبعة 1 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996)، 234-235.

8 كامل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، الطبعة 1، (بيروت: مؤسسة عبد الحميد شومان، 1985)، 2/ 243.

9أحمد حامد إبراهيم القضاة، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، الطبعة 1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007)، 461.

10 رؤوف سعد أبو جابر، الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، الطبعة 2(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010)، 11-12.

11 ألكساندر وليم كنغلك، رحلة إلى المشرق 1835/1834م، ترجمة: محمود العابدي، الطبعة 1 (دمشق: دار ورد للطباعة والنشر، 2005)، 81.

12وجيه كوثراني، المسيحيون من نظام الملل إلى الدولة المحدثة (المسيحيون العرب دراسات ومناقشات)، الطبعة 1(بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981)، 63.

13 بهجت حسن عبد الله صبري، لواء القدس تحت الحكم العثماني 1840-1873، (القاهرة: جامعة عين شمس، رسالة ماجستير، 1973)، 27-28؛ الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 276.

14 القضاة، نصارى القدس، 242.

15 الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 273.

16 ليلى الصباغ، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين 10-11هـ/16-17م، الطبعة 1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1989)، 2/ 840.

17 الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 277.

18 كامل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، (عمان: الجامعة الأردنية، 1989)، 3/ 155.

19 العارف، المفصل، 363.

20 خليل إبراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، الطبعة 1 (القاهرة: مطبعة المقتطف والمقطم، 1924)، 145؛ القضاة، نصارى القدس، 461.

21 كارين آرمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر، محمد عناني الطبعة 1(القاهرة، سطور، 1998)، 56.

22 قزاقيا، الكنيسة الأورشليمية، 147؛ القضاة، نصارى القدس، 462-463.

23 زياد عبد العزيز المدني، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245ه/1800-1830م، الطبعة 1 (عمان: جامعة آل البيت، 1996)، 228.

24 العسلي، وثائق مقدسية، 2/ 243.

25 أوزديمير حسن، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: وليد عبد الله القط، الطبعة 1 (مصر: دار النيل، 2013)، 41.

26 صبري، لواء القدس، 27؛ أحمد حسين عبد الجبوري، القدس في العهد العثماني (1516-1640م) دراسة سياسية عسكرية إدارية اقتصادية اجتماعية ثقافية، الطبعة 1، (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2011)، 1/ 333.

27 س م ق ش 209، ح2، 25 جمادى الأول 1126ه/8 حزيران 1714م، 86، نقلاً عن: عبد القادر جبارين، "موقف الدولة العثمانية من أهل الذمة في مطلع القرن الثامن عشر (القدس نموذجاً)"، مجلة كلية الإلهيات بجامعة هيتيت، م31، ع16، (2017): 209,

28 الجبوري، القدس في العهد العثماني، 1/ 249.

29 ستانفورد جاي شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، الطبعة 1 (القاهرة، دار البشير للثقافة والعلوم، 2015)، 160.

30 خالد عبد القادر الجندي، الأقليات الدينية في الدولة العثمانية (المسيحية، اليهودية، الأرمنية)، الطبعة 1 (أنقرة: iksad publishing house، 2020)، 180-181.

31 الجبوري، القدس في العهد العثماني، 1/ 332.

32 العارف، المفصل، 546.

33 آرمسترونج، القدس مدينة واحدة، 553-554.

34 المدني، القدس وجوارها، 229.

35 الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 272.

36 درادكة، يهود القدس، 73.

37 العارف، المفصل، 360.

38 س م ق ش 370، 25 صفر 1300هـ/5 كانون الثاني 1883م، 113، نقلاً عن: ربايعة، "طائفة اليهود في القدس"، 114-115.

39 درادكة، يهود القدس، 73.

40 شفيق جاسر أحمد محمود، تاريخ القدس والعلاقة فيها بين المسلمين والنصارى حتى الحروب الصليبية، الطبعة 2 (عمان: مطابع الإيمان، 1989)، 164-165؛ الجبوري، القدس في العهد العثماني، 1/ 328.

41 صبري، لواء القدس، 32؛ العارف، المفصل، 269-270.

42 أوزديمير، فلسطين في العهد العثماني، 40-41.

43 محمود، القدس والعلاقة بين المسلمين والنصارى، 163؛ الجبوري، القدس في العهد العثماني، 1/ 330.

44 ليلى الصباغ، فلسطين بشرياً اقتصادياً اجتماعياً، الطبعة 1 (بيروت: دار المصادر، 1996)، 73؛ الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 266.

45 صبري، لواء القدس، 32؛ الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 265.

46 سهيل زكار، تاريخ بلاد الشام تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، ترجمة: ملحم عبدو، أندراوس شخاشيري، (دمشق: التلوين للدراسات والترجمة والنشر، 2006)، 61-62.

47 العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق، سعيد الفاضلي-سليمان القرشي، الطبعة 1 (أبو ظبي: دار السويدي، 2006)، 2/ 420.

48 فدوى أحمد محمود نصيرات، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر 1840-1918، الطبعة 1(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009)، 53-54.

49 العارف، المفصل، 358-359.

50 العارف، المفصل، 359-362.

51 إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى عام 1949م، الطبعة 1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996)، 254.

52 الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 103.

53عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700-1918م قراءة جديدة، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، 91-92؛ س م ق ش 279، ح1، 1213هـ/1798م، 151، نقلاً عن: الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 103.

54 نقولا الترك، الحملة الفرنسية على مصر والشام، تحقيق: ياسين سويد، الطبعة 1 (بيروت: دار الفارابي، 1990)، 49.

55 خالد الصافي، "الحملة الفرنسية على بلاد الشام 1799م"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 8، (تشرين الأول 2006): 385؛ العارف، المفصل، 271.

56 عمر البرغوثي-خليل طوطح، تاريخ فلسطين (بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، 2001)، 197؛ العارف، المفصل، 272-273؛ ميخائيل مكسي إسكندر، القدس عبر التاريخ، (مصر: مكتبة الإسكندرية، 1972)، 69-70.

57 عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1998)، 3/ 9.

58 يعقوب لاندوا، تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية 1517-1914م، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000)، 520؛ الجبرتي، عجائب الآثار، 3/ 44.

59 لاندوا، يهود مصر، 521.

60 أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية، الطبعة 1 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، 103.

61 ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في الفكر الغربي، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز (الكويت: عالم المعرفة، 1985)، 73-74.

62 الشريف، الصهيونية غير اليهودية، 25.

63 عبد الغني عماد، ثقافة العنف في سيسيولوجيا الساسة الصهيونية، الطبعة 1 (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001)، 58؛ الصافي، "الحملة الفرنسية على بلاد الشام"، 403.

64 محمد علي البار، القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ مع دارسة تحليلية للقضية الفلسطينية، الطبعة 2 (دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2017)، 222-223.

65 الشريف، الصهيونية غير اليهودية، 76.

66 حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897/1906م (بيروت: دار الأحد، 1987)، 43-44.

67 الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 117.

68 س م ق ش 280، ح1، 1213هـ/1798م، 4؛ س م ق ش 280، ح3، 1213هـ/1798م، 359، نقلاً عن: الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 113-114.

69 س م ق ش 280، ح4، 1213هـ/ 1798م، 21؛ س م ق ش 280، ح6، 1213هـ/ 1798م، 358، نقلاً عن: الجبوري، القدس في العهد العثماني، 2/ 103.

70 الترك، الحملة الفرنسية، 70.

71 مناع، فلسطين في أواخر العهد العثماني، 96؛ الصافي، "الحملة الفرنسية على بلاد الشام"، 395؛ العارف، المفصل، 272.

72 آرمسترونج، القدس مدينة واحدة، 558.

73 الصافي، "الحملة الفرنسية على بلاد الشام"، 395.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم القضاة، أحمد حامد: نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، الطبعة 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2007.
- إبراهيم، ربايعة: "طائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني إلى ما قبل قيام الحركة الصهيونية (922هـ/1516م-1315هـ/1897م)"، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م2، ع2، (2008).
- أبو جابر، رؤوف: سعد الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، الطبعة 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2010.
- أبو سيف، يوسف: الأقباط والقومية العربية، الطبعة 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1987.
- آرمسترونج، كارين: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر، محمد عناني الطبعة 1، القاهرة 1998.
- وليم كنغلك، ألكساندر: رحلة إلى المشرق 1835/1834م، ترجمة: محمود العابدي، الطبعة 1، دار ورد للطباعة والنشر، دمشق 2005.
- شوفاني، إلياس: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى عام 1949م، الطبعة 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1996.
- أوزديمير حسن، فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: وليد عبد الله القط، الطبعة 1، دار النيل، مصر 2013.
- البار، محمد علي: القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ مع دارسة تحليلية للقضية الفلسطينية، الطبعة 2، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق 2017.
- البرغوثي، عمر -خليل طوطح: تاريخ فلسطين، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد 2001.
- الترك، نقولا: الحملة الفرنسية على مصر والشام، تحقيق: ياسين سويد، الطبعة 1، دار الفارابي، بيروت 1990.
- جاسر شفيق: أحمد محمود، تاريخ القدس والعلاقة فيها بين المسلمين والنصارى حتى الحروب الصليبية، الطبعة 2، مطابع الإيمان، عمان 1989.
- جبارين، عبد القادر: "موقف الدولة العثمانية من أهل الذمة في مطلع القرن الثامن عشر (القدس نموذجاً)"، مجلة كلية الإلهيات بجامعة هيتيت، م31، ع16، 2017.

- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1998.
- حلاق، حسان علي: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897/1906م، دار الأحد، بيروت 1987.
- حلمي خليفة علي داردكة، يهود القدس في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الطبعة 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2014.
- خالد عبد القادر الجندي، الأقليات الدينية في الدولة العثمانية (المسيحية، اليهودية، الأرمنية)، الطبعة 1 (أنقرة: iksad publishing house، 2020.
- خليل إبراهيم قزاقيا، تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية، الطبعة 1: مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة 1924.
- ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية جذورها في الفكر الغربي، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، الكويت 1985.
- زكار، سهيل: تاريخ بلاد الشام تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، ترجمة: ملحم عبدو، أندراوس شخاشيري، التلوين للدراسات والترجمة والنشر، دمشق 2006.
- زياد عبد العزيز المدني، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245هـ/1800-1830م، الطبعة 1،: جامعة آل البيت، عمان 1996.
- ستانفورد جاي شو، يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ترجمة: الصفصافي أحمد القطوري، الطبعة 1، القاهرة، دار البشير للثقافة والعلوم، 2015.
- الصافي، خالد: "الحملة الفرنسية على بلاد الشام 1799م"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 8، تشرين الأول 2006.
- الصباغ، ليلى: الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين 10-11هـ/16-17م، الطبعة 1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1989.
- صبري، بهجت حسن عبد الله: لواء القدس تحت الحكم العثماني 1840-1873،: جامعة عين شمس، رسالة ماجستير، القاهرة 1973.
- العارف، عارف: المفصل في تاريخ القدس، الطبعة 5، مطبعة المعارف، القدس 1999.
- عبد الجبوري، أحمد حسين: القدس في العهد العثماني (1516-1640م) دراسة سياسية عسكرية إدارية اقتصادية اجتماعية ثقافية، الطبعة 1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان 2011.

- عبد الجبوري، أحمد حسين، القدس في العهد العثماني (1640-1799م)، دراسة سياسية عسكرية إدارية اقتصادية اجتماعية ثقافية، الطبعة 1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان 2011.
- عبد الغني عماد: ثقافة العنف في سيسيولوجيا الساسة الصهيونية، الطبعة1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2001.
- العسلي، كامل: وثائق مقدسية تاريخية، الطبعة 1، مؤسسة عبد الحميد شومان، بيروت 1985.
- العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663م، تحقيق، سعيد الفاضلي-سليمان القرشي، الطبعة1 دار السويدي، أبو ظبي 2006.
- كامل العسلي، القدس في التاريخ، الطبعة 1، عمان 1992.
- كامل العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، الجامعة الأردنية، عمان 1989.
- كواترات، دونالد: الدولة العثمانية 1700-1922م، ترجمة: أيمن أرمنازي، الطبعة 1، مكتبة العبيكان، الرياض 2004.
- كوثراني، وجيه: المسيحيون من نظام الملل إلى الدولة المحدثة (المسيحيون العرب دراسات ومناقشات)، الطبعة 1، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1981.
- لاندوا، يعقوب: تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية 1517-1914م، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000.
- الصباغ، ليلى: فلسطين بشرياً اقتصادياً اجتماعياً، الطبعة 1، دار المصادر، بيروت 1996.
- مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، الطبعة 1، مؤسسة الرسالة، بيروت 1996.
- مناع، عادل تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700-1918م قراءة جديدة، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999.
- ميخائيل مكسي إسكندر، القدس عبر التاريخ، مكتبة الإسكندرية ، مصر 1972.
- نصيرات، فدوى أحمد محمود: المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر 1840-1918، الطبعة 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2009.

The social conditions of religious minorities in the Sanjak of Jerusalem in the eighteenth century until their submission to the rule of the governor of Egypt, Muhammad Ali Pash.

Asist prof Dr. Rashid Sheikho
Faculty of Arts
Mardin Artaklu University- Türkiye

Ali Sheikh Omar
Graduate Institute
Mardin Artaklu University-Türkiye

Keywords: religious minorities, Muhammad Ali Pasha, French campaign, social conditions

Summary:

The study deals with the social conditions of the religious minorities of Jews and Christians in the Sanjak of Jerusalem during the period of direct Ottoman rule throughout the eighteenth century AD, including the French campaign at the end of it, before the governor of Egypt, Muhammad Ali Pasha, in 1831 AD, took control of the Sanjak and the Levant for the next decade. The study aims to explain the nature of their social life under the rule of the Ottoman governors and their relationship in detail, whether within each religion and between its sects, whether the relationship between the Jewish and Christian minorities, then the relations between them and the Muslim majority. We will also touch on what was caused by the French campaign against the Levant led by Napoleon Bonaparte in 1799 AD. It affected the conditions of these minorities and their social relations.

We have followed the historical approach in extrapolating the events and the descriptive approach to analyze and treat them and reach scientific results that are far from bias and courtesy. The study was divided into three axes: firstly, the relationship between the religious minorities in the Sanjak of Jerusalem and the

position of the Ottoman administration towards them. It includes the relationships of the sects within the minority, then the relationship of the minorities with each other. Secondly, the relationship between Muslims and religious minorities in Sandjak, and thirdly, the impact of the French campaign on their social conditions and on their relations with the Muslim majority. The study reached important and accurate results, the most important of which are:

Disputes were a feature of the relations between religious minorities and their sects in Jerusalem during the Ottoman era, and the state's position was unstable as a result of the corruption of its officials and governors and the interference of foreign countries.

Muslim relations with minorities were tolerant in terms of freedom of belief, worship, protection of holy places, and work, but they began to deteriorate since the end of the eighteenth century. Muslims treated Jews with greater tolerance because most of them emigrated with them from Europe, while they considered Christians to be sects loyal to enemies where European countries intervened. To protect them, which exposed them to attacks from soldiers and common Muslims.

The French campaign worsened relations between Muslims and religious minorities, and they were considered to be cooperating with the campaign because Napoleon relied on them. The Jews were subjected to persecution despite their loyalty to the Ottoman state, and the Christians of Jerusalem were also exposed to Muslim attacks on monks and churches, especially Catholics and Franciscans, as it appears that some priests were corresponding with the campaign. .

Introduction to research:

The research addresses the study of the network of social relations between the various religious sects in the Sanjak of Jerusalem in the Ottoman era throughout the

eighteenth century until the advent of Napoleon Bonaparte's campaign against Egypt and the Levant and its impact on these relations. It also addresses the position of the Ottoman administration towards religious minorities, and the impact of the French campaign on the conditions of minorities. And their relationship with each other.

Importance: The importance of the study lies in the fact that it sheds light on the social relations between the various components of Jerusalemite society, especially the relationship between the religious minorities in the city of Jerusalem in the Ottoman era, in addition to the fact that the study details the nature of the social relations between the different sects in light of the contradiction in the narratives between the sources of the religious minorities and their historians and Islamic sources.

Objectives of the study: The study aims to give a clear idea of the social situation of religious minorities in the Sanjak of the Covenant during the Ottoman era and the injustices to which they were exposed, in addition to distinguishing between the different relationships, whether within each religion or between the three religions. It also aims to highlight the impact of the Crusade on social relations between various religious minorities.

Study problem: The study focuses on the problems that religious minorities in the region suffered during the Ottoman era, which were caused by governors, notables, and soldier commanders, and which were manifested in daily life, work, dress, and their role in the local community.

Methodology: The historical methodology was used to track the events and the descriptive and analytical method in treating and refuting them.